

تفسير البغوي

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ^ج أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ

قوله تعالى : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) الآية . قال ابن عباس رضي الله

عنهما : لما أسر العباس يوم بدر غيره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم ، وأغلظ علي رضي

الله عنه له القول . فقال العباس : ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسنا؟ فقال له

علي رضي الله عنه : ألكم محاسن؟ فقال نعم : إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة

ونسقي الحاج ، فأنزل الله عز وجل ردا على العباس : " ما كان للمشركين أن يعمروا

مساجد الله " أي : ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله . أوجب على المسلمين

منعهم من ذلك ؛ لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله وحده ، فمن كان كافرا بالله فليس

من شأنه أن يعمرها . فذهب جماعة إلى أن المراد منه : العمارة المعروفة من بناء المساجد

ومرممته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا تمتثل . وحمل بعضهم العمارة

ها هنا على دخول المسجد والقعود فيه . قال الحسن : ما كان للمشركين أن يتركوا

فيكونوا أهل المسجد الحرام. قرأ ابن كثير وأهل البصرة: "مسجد الله" على التوحيد ،
وأراد به المسجد الحرام ، لقوله تعالى: "وعمارة المسجد الحرام" ، ولقوله تعالى " فلا
يقربوا المسجد الحرام " ، وقرأ الآخرون: (مساجد الله) بالجمع والمراد منه أيضا
المسجد الحرام . قال الحسن: إنما قال مساجد لأنه قبلة المساجد كلها . قال الفراء: ربما
ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد ، ألا ترى أن الرجل يركب البرذون
فيقول: أخذت في ركوب البراذين؟ ويقال: فلان كثير الدرهم والدينار ، يريد الدراهم
والدينارين؟ لقوله تعالى: (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أراد: وهم شاهدون ، فلما طرحت
" وهم " نصبت ، قال الحسن: لم يقولوا نحن كفار ، ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم
بالكفر. وقال الضحاك عن ابن عباس: شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام ،
وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد ، وكانوا
يطوفون بالبيت عراة ، كلما طافوا شوطا سجدوا لأصنامهم ، ولم يزدادوا بذلك من الله
تعالى إلا بعدا. وقال السدي: شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يسأل من أنت؟
فيقول: أنا نصراني ، واليهودي يقول: أنا يهودي ، ويقال للمشرك: ما دينك؟ فيقول:

مشرك . قال الله تعالى : (أولئك حبطت أعمالهم) لأنها لغير الله عز وجل ، (وفي النار

هم خالدون) . وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : معناه شاهدين على رسولهم

بالكفر ؛ لأنه ما من بطن إلا ولدته .